مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث
Enki Foundation for Studies and Research

التفاوض في ظل عدم الثقة:

قضية تسوركوف كأنموذج لحل معضلة السجين بين الحكومات والجماعات المسلحة

م . م. جعفر حسون عباس العزاوي

مقدمة

في سبتمبر ٢٠٢٥، تم إطلاق سراح الباحثة الروسية_الإسرائيلية (إليزابيث تسوركوف) بعد احتجاز دام أكثر من عامين في العراق على يد جماعات مسلحة.

الحادثة تمثل اختباراً عملياً لمعنى "عدم الثقة" بين الحكومة والجماعات المسلحة، وتبين كيف يمكن لتدخل لاعب ثالث يقدم (تهديدات أو ضمانات) تحويل اللعبة من مواجهة صفرية إلى تسوية نسبية.

أولاً: المشكلة المركزية وإطار التحليل

المعضلة الأساسية هنا هي معضلة الثقة (نموذج معضلة السجين [*]): كل لاعب يشك في التزام الآخر بالتهدئة أو الضمانات. الجماعات المسلحة تخشى إذا أطلقت سراح الرهينة أن تخسر ورقة تفاوضها بلا ضمانات؛ والحكومة تخشى أن توفير الحماية للجماعات المسلحة قد يشجع المزيد من الابتزاز والإحراج الدولي. تدخل لاعب ثالث يغير حسابات التكلفة والفائدة ويجعل خيار "إطلاق السراح"، مدعوماً بالتهديدات أو ضمانات أكثر واقعية للاعبين.

وعليه، فإن الخيارات الأربعة الممكنة للتعامل مع معضلة عدم الثقة المتبادلة، التي تماثل في جوهرها أنموذج معضلة السجين كإطار تحليلي هي :

	الحكومة تحمي الجماعة	الحكومة تتخلى عن الجماعة
الجماعة تطلق سراح الرهينة	الأفضل للاعبين: حل الأزمة مع ضمان الحماية	الأسوأ للجماعة: تخسر الورقة بلا ضمانات
الجماعة تحتفظ بالرهينة	الأفضل للجماعة فقط: تحتفظ بالورقة مع الحماية	سيء للاعبين: أزمة مستمرة وضغط متزايد

(*) معضلة السجين هي أنموذج أساسي في نظرية المباريات يوضح كيف يمكن أن يؤدي غياب الثقة المتبادلة بين اللاعبين إلى اتخاذ كل لاعب قرارات فردية عقلانية قد تؤدي إلى نتائج أقل فائدة لجميع اللاعبين مقارنة بما لو اختار اللاعبان التعاون. في السياسة والأمن والعلاقات الدولية، تستخدم هذه الأنموذج لتفسير سلوك اللاعبين (دول، جماعات مسلحة) في الأزمات والتفاوض، حيث يخشى كل لاعب أن يستغل حسن نية الآخر، فيميل إلى اتخاذ قرار يحمي مصالحه الذاتية، حتى لو كان التعاون الجماعي أفضل للجميع. تظهر معضلة السجين كيف أنَّ التعاون بين اللاعبين قد يكون في مصلحتهم الجماعية، ولكن غياب الثقة والخوف من الخيانة يدفعهم إلى اتخاذ قرارات تضر بالجميع. في هذا التقييم، تم توظيف معضلة السجين كإطار تحليلي لتقدير خيارات اللاعبين الرئيسيين في أزمة تسوركوف، بهدف فهم دوافعهم، تقييم تكاليف الخيارات المختلفة، واستشراف السيناريوهات الممكنة، بما يجعل التحليل أكثر دقة ووضوحاً لصانع القرار. للمزيد حول موضوع معضلة السجين يراجع: مارتن غريفيش وتيري أوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، ترجمة، مركز الخليج للأبحاث، ط١ (دبي ـ الإمارات: مركز الخليج للأبحاث، ٢٠٠٤)، ص٣٩٢_٣٩٤.

مـن الجـدول أعلاه يتضـح أن المقارنـة بيـن الخيـارات الأربعـة تسـاعد علـى اتخـاذ قـرار عقلانـي، وذلـك علـى النحـو الآتـي:

١. انهيـار خيار"**الاحتفـاظ مـع الحمايـة**" وهـو مسـتحيل عمليـاً، لأن الولايـات المتحـدة جعلـت هـذا الخيـار مكلـف جـداً للحكومـة العراقيـة ومدمـر للجماعـة.

٢. ترجيـح خيـار "**الإطـلاق مـع الحمايـة**" وهـو أفضـل خيـار متـاح للاعبيـن، بضمانـات أمريكيـة ضمنيـة.

٣. تدهـور جميـع خيـارات "**الاحتفـاظ بالرهينـة**" بسـبب التكلفـة الخارجيـة الهائلـة.

ثانياً: دروس نظرية من كسر معضلة السجين

١. **أهميـة التوقعـات المسـتقبلية فـي اتخـاذ القـرار:** يعلـم كلا اللاعبيـن أنّهـم سـيواصلون التعامـل مـع بعضهـم فـي المسـتقبل، إذ تحتـاج الجماعـات المسـلحة إلـى الحمايـة السياسـية مـن الحكومـة العراقيـة، بينمـا تعتمـد الحكومـة العراقيـة علـى تعـاون الجماعـات المسـلحة لتحقيـق الاسـتقرار المحلـي. هـذه الديناميكيـة تجعـل خيـار التعـاون أكثـر جاذبية مـن الخيانة قصيـرة المـدى.

٢. **دور المعلومـات فـي كسـر عـدم اليقيـن:** أزال الضغـط الأمريكـي الواضـح والعلنـي الغمـوض حـول العواقـب، وأصبـح كلا اللاعبيـن على درايـة دقيقة بتكاليـف كل خيـار، ممـا سـهل اتخـاذ القـرار العقلانـي.

٣. **تحويـل اللعبـة مـن "صفريـة" إلـى "مكسـب متبـادل":** بـدلاً مـن أن يكـون مكسـب أحـد اللاعبيـن علـى حسـاب الآخـر، خلـق التدخـل الخارجـي سـيناريو يحقـق مكاسـب نسـبية لجميـع اللاعبيـن.

ثالثاً: تحليل الأطراف الفاعلة في أنموذج معضلة السجين: النوايا والقدرات (مصفوفة مبسطة)

الفاعل	النوايا الرئيسية	القدرات العملية	التقييم المختصر
الحكومة العراقية	استعادة السلطة الرمزية، تجنب التصعيد الدولي	قدرات أمنية محدودة تجاه الجماعات المسلحة	مضطرة للتسوية
الجماعات المسلحة	استغلال الورقة للضغط السياسي	قدرة احتجاز ومناورة محلية	تنازل مشروط مقابل ضمانات
الولايات المتحدة	حماية مصالح مواطنيها، ردع الجماعات المسلحة	ضغط (اقتصادي، دبلوماسي، عسكري، واستخباري مؤثر)	فاعل حاسم يرفع تكاليف الخصم
إيران	الحفاظ عل النفوذ عبر الجماعات وتفادي تصعيد مباشر	تأثير وسيط عبر شبكة العلاقات	داعم، موازن
إسرائيل	حماية مواطنيها وإظهار قدرة ردع	قدرة استخبارية وعملياتية عالية	عامل ضغط خارجي

رابعاً: سيناريوهات قصيرة الأمد (١٤_٩٠ يوماً)

١. **استقرار هش (الأرجح):** تسوية مؤقتة مع مراقبة تكرار حالات صغيرة لكن دون أزمة شاملة.

٢. **عودة الخطف كأداة ضغط:** إذا لم تنفذ الضمانات، وانخفضت تكلفة الاحتجاز وزادت أرباحه.

٣. **تصعيد محدود، موجات ردع:** اشتباكات أو غارات انتقامية إذا لم تسيطر الحكومة على الانتهاكات.

ختاماً

توضح قضية إطلاق سراح (**تسوركوف**) أن التعامل مع الأزمات المعقدة يتطلب قراءة دقيقة للخيارات ضمن أطر عدم الثقة المتبادلة. تحليل نوايا وقدرات الأطراف يظهر أن كل لاعب يوازن بين مصالحه وقيوده العملية، ما يجعل النتائج مرنة وقابلة للتغيير وفق التحركات الخارجية والضغوط المحسوبة.

الخيارات تتراوح بين استقرار نسبي، مواجهات محددة، أو موجات ردع متدرجة، وفق قدرة اللاعبين على الالتزام بالضمانات أو استغلال الثغرات.

الوضوح في المعلومات، والمتابعة الدقيقة لسلوك اللاعبين يسهل اتخاذ قرارات عقلانية ويخفض احتمالات الانزلاق نحو تصعيد كامل.

التقدير يعكس أن الحلول الواقعية تتطلب دمج البعد الأمني مع الفهم السياسي والاستراتيجي، دون الاعتماد على فرضيات مبسطة أو أحادية الجانب.